الكلام المنثور لكان نقل مثل إلى مثل وذلك أشهر وأظهر فباعثى إذاً على حفظ الأشعار دون الكلام المنثور كثيرة الشعر واستغراقه للمعانى ولأن الأخذ منه أستر وأخفى وقد دللتك أيها المرتشح لهذه الصناعة على ما دللت عليه نفسى وهذا من دأب ذوى الأديان وبه وصف رسول الله ﷺ حقيقة الإيمان واعلم أن ها هنا باعاً على ما نصصت عليه هو أقوى من الباعثين الأولين وذلك أن مرادى من صناعة الكتابة إنما هو طريق الاجتهاد لا طريق التقليد وإذا قصرت نفسى على النظر فى مكاتبات من تقدم فكأنما أكون قد حذوت حذوهم وهذا ليس من شأنى ولا أربى وإنما الأرب كله فى طريقة عذراء لم تفترع. ومذهب غريب لم يبتدع. وقد قلبت هذا الفن ظهراً لبطن فلم أجد السلوك إلى هذه الطريق إلا بتحصيل هذه الأسباب الثلاثة وهى :

حفظ القرآن الكريم وحفظ ما يقارب حجمه من الأخبار النبوية التى

ص ٨ : تدخل فى باب الاستعمال وأهل مكة أخبر بشعابها وحفظ الأشعار الكثيرة على ما تقدم ذكره فإذا حصلت هذه الأسباب الثلاثة وأتقن تحصيلها أخذ صاحبها فى فن الكتابة يهب ويركد ويقوم ويقعد. ويصدر ويورد. ويخلط الصحيح بالسقيم. ويمشى مكباً على وجهه ثم سوياً على صراطٍ مستقيم. وفى أول الأمر لا يرى إلا صعوبة ووعورة وطريقاً مشكلة المذاهب كثيرة الشعاب فإذا أكره خاطره على سلوكه وشجعه على توردها فما تمضى به إلا هنيهة حتى يستمر به الطريق ويتضح لديه وأخلق بتلك الطريق أن تكون بديعة غريبة لا تشبه شيئاً من طرق المتقدمين وهكذا فعلت أنا فى فن الكتابة وربما سلك هذه الطريق قوم بعد تحصيل ما أشرت إليه من حفظ القرآن الكريم والأخبار والأشعار ثم تظلم فى وجوههم فى مبدأ الأمر فيعودون عنها ولا يدرون الحلاوة من المرارة أو التعب على منازل العليا أمارة.